جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

محاضرات

الأدب العربي الحديث – النثر

للمرحلة الرابعة

محاضرة رقم(9)

إعداد

أ. د. إبراهيم مصطفى الحمد

2025 – 2024

تاريخ نشأة الرواية:

عُرِفت الرواية أوّل ما عُرفتْ في إنكلترا، ويُؤرّخ بعض نُقاد الأدب تاريخ ميلادها بظهور رواية"**باميلا"لـ"ريجاردسن**" عام 1740 ،إذ شهد القرن الثامن عشر ظهور ثلاثة من أعظم كُتّاب الرواية الإنكليزية ، وهم "**ديفو**" و"**ريجاردسن**" و"**فيلدنك**" ، ولم يكن ظهورها آنذاك وليدَ الصّدفة ، بل جاء نتيجة لتوافر ظروف فكرية وثقافيّة واقتصاديّة واجتماعيّة ملائمة، وإن استعمالهم لكلمة "رواية **– novel**" لم يستقر إلاّ في نهايات ذلك القرن، واعتبروا"الواقعية" الصفة البارزة التي تُميّز الرواية في مستهل ذلك القرن عن القصص التي سبقتها.

لكن "**إدوارد بلن**" يُعيدُنا إلى تاريخ أقدم بكثير من التاريخ السابق ؛ إذ يقول تعود الإجابة بنا إلى كاتب إيطالي قديم يسمّى "**جيوفاني بوكاشيو**" "**جيوفاني يعني جون**" **عاش بين عامَي1313– 1375 وكتب رواية سمّاها "ديكاميرون**" وقد أفاد من واقعة : فحين ضرب مرض الطاعون مدينة فلورنسا عام 1348 اتّخذ سبع فتيات وثلاثة فتيان طريقهم إلى الريف تخلصاً من الإصابة بهذا المرض، **ولمدّة عشرة أيام "ديكاميرون**" تعني "عشرة أيام" أشاع هؤلاء المتعة لأنفسهم بسردهم قصصاً: قصّة واحدة لكل شخص في اليوم الواحد ،إذن مجموع القصص مائة قصّة . كان لكتاب **بوكاشيو** عنوان ثانوي طُبع تحت العنوان الأول ، إذ كان المألوف وضع عنوان ثان هو بمثابة تفسير للعنوان الأول ، وكان العنوان الثاني لـ"**ديكاميرون**" **هو"توفيلاّ ستوريا**" وتقابلها بالعربية "**قصة جديدة**".

ثم يؤكد أنّ هذه القصص ليست جديدة حقاً ، بل التقط **بوكاشيو** حكايات قديمة منتشرة في ذلك المكان ، وأضفى عليها الجِدّة ، وكانت القصص في ذلك الوقت تُكتب شِعراً وليس نثراً ، وهي لا تدور بين أناس عاديّين بل بين ملوك وملكات وفرسان وأبطال عِظام ، وكانت تُروى بصيغة الماضي.

وربّما يمتدُّ عمرُ الرواية إلى أبعد من ذلك ، فهي جنس حكائي سردي وإن الحكي والسرد هما نزعة إنسانية قارّة في الإنسان ، منذ الأزل، تشهد على ذلك الرسومات القديمة في الكهوف والنقوش المختلفة التي تخلّدُ حدّثاً أو سيرةً ما.

إننا نشير باختصار إلى أن الطابع الديني والكنسي كان يطبع الروايات حتى القرن الرابع عشر ، بعدَها تحوّلت إلى مغامرات منظومة ذات طابع ملحمي ، مغامرات عسكرية وغرامية حتى القرن الثامن عشر، لتتحوّل بعدَها إلى ما يُعرَف بالرواية الباروكيّة.

ولعلّ رواية "**دون كيشوت**" **لـ** "**سرفانتس**" التي تسخر من الفكرة البطوليّة ، كانت بداية للخروج على **النسق الباروكي** في القرن السادس عشر، ثم تبعتها روايات القرن السابع عشر التي استعان كُتّابُها بالسيرة الذاتيّة، أمثال" **الكسندر دوماس**" ، ثم ظهرت بعدَها روايات المغامرات مثل"**روبنسون كروز**" **و**" **كانديد**" ، ولتتحوّل مع القرن الثامن عشر للباطني والداخلي وتصوير الحياة النفسية ، مثل "**للكو**" **و**"**ساد**" **و**"**ماريفو**" **ورواية** "**أدولف**" **لـ**"**بنجمان كونستان**" إذ تحكي عن تفسّخ الحياة النفسية وعبثية باطن الإنسان.

ثم اتخذت الروايةُ شكلاً آخرَ من "**بلزاك**" **و**"**هيجو**" **و**"**ديكنز**"**و**"**زولا**"؛إذ تحولت الرواية من رواية الحكايات إلى رواة أخلاقيين يعرفون سِرَّ الضمائر والشخصيّات، وبدأت الرواية تتجه نحو الواقعية ، وبدا طابع الاستقصاء والوصف حتى كان يغطي تفاصيل المشهد الذي يصفهُ كافة ثم يظهر مفهوم الرسائل والبدايات السينمائية في الرواية على يد "**فلوبير**"، ثم هروباً من سيطرة الراوي العليم يظهر فن المشهد على يد"**هنري جيمس**" ، إذ دعا إلى مسرحة الحدث والدعوة للخروج من الراوي العلوي، وصارت الرواية تعتمد على الحوار ، الذي صار أكثر تلقائية.

ولابدّ من الإشارة إلى أن تطوّر الرواية بدأ يبرز في القرن التاسع عشر في الرواية الأمريكية على أيدي روائيين،كان يُطلق عليهم "**الجيل الضائع**"**أمثال** "**جون دوس باسوس**" **و**" **جيرترد ستاين**"**و**"**كالدويل**"**و**"**أرنست همنغواي**"**وفيتز جيرالد**"، إذ أدخلوا التقنيات السينمائية على إبداعاتهم السردية، وكذلك الرواية الفرنسية متمثلةً **بـ**"**بلزاك**" **و**"**بروست**"**و**"**سارتر**"**و**"**بوتور**"، **ومتأثرةً بالرواية الأمريكية ، والرواية الروسية متمثلةً بأبرز كتابها**"**ديستويفسكي**"**الذي يسبق ذلك التاريخ** .

وإجمالاً فقد تناول "**لوسيان غولدمان**"العلاقة بين التطور التاريخي للمجتمع، وتطور العمل الأدبي ، إذْ ميّز بين ثلاث مراحل في تطوّر الرأسمالية وما ترتبَ عليهِ من تطور أدبي:

المرحلة الأولى:وهي مرحلة الرأسمالية الليبرالية وتتميّز بازدهار الفردية المبنية على مبدأ الحرية الاقتصادية والمبادرة الفردية ، وتطابقها على مستوى الأدب **رواية"الفرد الإشكالي" متمثلةً بأعمال "فلوبير" و"ستندال" و"جوته"و"بلزاك".**

المرحلة الثانية: وهي رأسمالية الاحتكارات"نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"وفيها زالت الأهمية الجوهرية للفرد داخل البنى الاقتصادية والحياة الاجتماعية، وتطابقها على المستوى الأدبي تذويب"**البطل الإشكالي"، ويتمثل ذلك في أعمال "جويس"و"بروست"و"مارلو".**

المرحلة الثالثة: مرحلة الرأسمالية الاحتكارية للدولة، وفيها تطورت أنظمة تدخل أجهزة الدولة ، وآليّات التنظيم الذاتي، فأزالت أية مبادرة فردية أو جماعية، وتطابقها على المستوى الأدبي مسألة **اختفاء البطل** في الرواية الجديدة.

أمّا استعمال الغرب كلمة "**رومان Roman**" للدلالة على الرواية في عصور متقدّمة، فلأنهم كانوا، أيضاً يطلقونها على جنس المسرحية، وكلُّ عملٍ خيالي سردي أو شعري، وهي عندهم "اللغة الدارجة والشعبية" إذ كانت تشير إلى قطعة شعرية وفي الوقتِ ذاتهِ إلى اللغة التي كُتبت بها .فكلمة "Romanz " "اللغة العامية" أوجدت الفعل "Romancier " الذي كان يعني في البداية "روى باللغة الفرنسية" ... وقد توسّعت الكلمة نفسها"Roman " وصارت تشير تِباعاً إلى كل كتاب بالعامية حتى إن لم يُتَرجم إلى اللاتينية ، وإلى كل أثر خيالي لا يرتكز على قاعدة تاريخية ، وإلى المادّة الأدبية بوصفها معارضة للمادّة الشفوية، وفي نهاية القرن الوسيط كانت الكلمة تشمل حتى أناشيد المآثر.

وربما تكون كلمة "**Fiction** " التي يطلقها الإنكليز والأميركان على الرواية ، التي تعني"**وهم**" هي الأقرب، إلى تسمية هذا الجنس الأدبي ؛ لما تنطوي عليه الرواية من قابلية على الإيهام

نشأة الرواية العربية:

أمّا الرواية العربية ، فهي بلا تراث، برأي الروائي **عبد الرحمن منيف**" بقوله: إن الرواية العربية بلا تراث، وبالتالي فإن أي روائي عربي معاصر لابدّ من أن يبحث بنفسه عن طريقة في التعبير بدون أي دليل ، أو بأقل ما يمكن من الأدلّة ، ولذلك فإنه معرّض إلى أن يقع في الأخطاء .

وبالرغم من إجماع العلماء على أن العرب كانت لهم قصص تدور حول أجدادهم وملوكهم وفرسانهم وشعرائهم، وبالرغم من وجود قصص مدوّنة مثل "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" ،وقول بعض نقادنا إذا كان الأوربيون قد بدأوا بقصص "بوكاشيو" وأضرابها فقد بدأنا نحن بألف ليلة وليلة ، بالرغم من هذا وهذا ، لا يمكن عدّ الرواية – على وفق مفهومها الحديث ، وما تحفل به من تقنيات وعناصر ومقومات فنية – جنساً سردياً عربياً يتمتع بالأصالة ، إذ إنها وافدة بشكلها الحديث إلينا من العالم الغربي بعد أن كادت تترسخ جنساً أدبياً لدى الغرب، وقد بدأ ظهورها في العربية في نهايات القرن التاسع عشر.

لقد شهد أوائل القرن العشرين محاولات بسيطة في كتابة الرواية العربية عالجت موضوعات تاريخية واجتماعية وعاطفية، بأسلوب تقريري مباشر، توخّت تسلية القارئ وتعليمه. ثم تبعت ذلك محاولات فنية جادة في كتابة الرواية. منها:

1. رواية (زينب) سنة 1914 للدكتور محمد حسين هيكل.

2. رواية (دعاء الكروان) للدكتور طه حسين.

3. رواية (سارة) لعباس محمود العقاد.

4. رواية (إبراهيم الكاتب) تأليف إبراهيم عبد القادر المازني، وغيرها في العراق وسوريا ولبنان.

5. وتعد رواية (جلال خالد) للقاص العراقي محمود أحمد السيد التي اصدرها عام 1928م من أولى المحاولات الناجحة في كتابة الرواية الفنية في العراق.

وقد ظل مصطلح "رواية" يطلق على جنس المسرحية عند النقاد والأدباء العرب إلى عام 1930 ، وربّما إلى أبعد من هذا التاريخ في بعض الأقطار العربية، ولعلّ بدايات التأسيس المتطوّر للرواية العربية الحديثة، كانت مع "**محمد حسنين هيكل" في رواية "زينب**"، لكن هذه الرواية– على أهميتها وما تنطوي عليه من قضايا

فنية وشكلية جديدة – لا يمكن أن ترقى بأي حال من الأحوال إلى أعمال "**نجيب محفوظ**" الذي بدأ تقليدياً ، ثم خطا بالرواية العربية خطوات متقدّمة ، إبتداءً من "**الثلاثية**" ذات البناء الفني الحديث، إلى "**ميرمار**" التي تتمظهر فيها "**تقنية الأصوات وتعدد الرواة**"، وكذلك رواية "**اللص والكلاب**" التي يرى فيها الكثير من النقاد أنها بداية الدخول لرواية "**تيار الوعي**".

وقد برزت تجارب متميّزة في الرواية في مختلف البلدان العربية ، فتحت آفاقاً جديدةً في المشهد الروائي العربي، منها : تجربة **عبد الرحمن منيف وأعماله المتميزة ، مثل "شرق المتوسّط" و"الأشجار واغتيال مرزوق" و "النهايات"**، وغيرها، وتجربة حنا مينا وعبد الحكيم قاسم في ما يُعرَف بتيار الوعي ، وتجربة **إبراهيم أصلان، والسينمائية مع حضور الحواس في رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم ، والواقعية السحرية في تجربة إبراهيم الكوني** ، وغيرها من التجارب التي أثرت المشهد الروائي العربي.

ومِمّا لا مناصَ من ذكرهِ في هذا المجال، أنّ الرواية كانت من بين الوسائل المهمّة التي تصدّت لمهمّة نقل الثقافة الأوربية وتعريف العرب بها ، وأن رواية "**تليماك**" هي أول رواية مترجمة فتحت أعين العرب على هذا الفن الجديد ، وكان "**رفاعة الطهطاوي**" الذي ترجم هذه الرواية من أبرز الروّاد الذين تصدَّوا لنقل الثقافة الأوربية إلى المجتمع العربي وتعريف العرب بمنجزات الحضارة الأوربية.

فما الدافع لكتابة الرواية:

يقول " إنغوس ولسن" إن الحافز لكتابة رواية ينشأ في رؤيا متوحّدة لحظوية للحياة ، وتفسّر ذلك " دايانا داوبتفاير" بقولها: أظن أن "الروائي" يسرد قصة ليوضح ثيمة تهمّه .إن الكُتّاب بحاجة للتعبير عن أفكارهم التي ينبغي أن تُفهم ، بعبارة أخرى ، إنهم بحاجة إلى الاتصال مع الآخرين، إذ تتجسّد الرواية كفعل تواصلي يربط بين الكاتب والقارئ .

الدافع لقراءتها والفائدة منها:

يقول صاحبا كتاب "صنعة الرواية " إننا نقرأ الروايات للتعويض عن بعض النقص في التجربة ، فقارئ الرواية يجدُ فيها إغناء لتجربته الشخصية في الحياة، كونها تبعده عن الحرج من الاطلاع على تصرّفات تحرمها عليه رقابة المجتمع أو الرقابة الأخلاقية مثل إرضاء الرغبات الجنسية ، أو السلطة والثروة ، ذلك أن هذه الرغبات والتطلعات التي يشوبها في الغالب طعم الفاكهة المحرّمة ، يخالطها شعور بالذنب تحاول الرواية أن تقلله أو تمحوَهُ، فهي تكشف لنا أنفسنا بمعنى أنها تجسّد مخاوفنا ورغباتنا وتمنحنا شكلاً معيّناً.

لا تُكتب الرواية إلاّ لتُقرأ ففي فعل الكتابة نفسه يكمن جمهور مفروض ، وإن من أولى مهمّاتها التقريب بين القارئ والراوي والشخصية ومحاولة التوفيق بينهم وصهرهم في شعور مشترك ، وذلك ما حمل "**بول أندريه لوسور" ذاته على تقديم هذا التعريف ، وهو: إن الفن الروائي فن اتصال وليس فن معرفة.** وهو تعريف ناقص برأينا لأنه فنُّهما معاً.

إنّ قراءةَ الرواية ، فضلاً عن انطوائها على متعة كبيرة ، فإنها اكتشاف مستمر وتلصص دائم على جوانب من حياتنا الشخصية نخشى التحدّث بها إلى غيرنا ، وهي بذلك تجعلنا أكثر قدرةً على مجابهة المشاكل والمحن التي تحدق بنا.